المدرسة التاريخية الألمانية

- ظهرت هذه المدرسة مع كتابات فريدريك لست وويلهلم روستشر في أربعينيات القرن التاسع عشر وانتهت في ١٩١٥ بوفاة جوستاف شمولر.
- رواد هذه المدرسة مثلهم مثل الاشتراكيين وجهوا نقداً قاسياً للمدرسة الكلاسيكية.

خلفية هذه المدرسة:

معاهدة السلام التي تلت الحرب النابلونية تركت ألمانيا مقسمة إلى ٣٩ ولاية منفصلة، بعضها ممالك معظمها غير ديمقراطية. القوى الأوربية المنتصرة استغلت ألمانيا لمصالحها الخاصة. فالنمسا تريد ألمانيا ضعيفة ومقسمة، بريطانيا تريد روسيا قوية لمنع قيام فرنسا مرة أخرى، روسيا تريد لنفسها بولندا التي تحتلها ألمانيا والنمسا.

نضال الألمان ضد نابليون أشعل المشاعر الوطنية والقومية، كثير من الألمان طالبوا بالتوحيد والإصلاح الدستوري، ولكن السعي للوحدة قد أحبط لمدة نصف قرن، الطموحات نحو الديمقراطية لم تتحقق لقرن من الزمان ثم تحقق ولكن بشكل ناقص تحت ظروف سيئة للغاية تحت وطأة الهزيمة في الحرب العالمية الأولى.

في عام ١٨١٥ التحالف المقدس بين بروسيا والنمسا وروسيا كان مصمماً للقضاء على أي ثورة تقوم في أي مكان. ولقد قامت ثورة في أوائل الثلاثينات ١٨٣٠ – ١٨٣٢ وقد أخمدت وكذلك سحقت ثورة أكبر منها في عام ١٩٤٨ وقد سحقتها روسيا والنمسا.

بروسيا هي أكبر وأغنى وأكثر عسكرة وأقوى ولاية في ألمانيا وهي التي تسيطر على الدولة. الدول الأجنبية تتودد إلى بروسيا للتحالف معها. الأجانب والمحافظين المحليين رأوا في بروسيا حصناً منيعاً ضد الديمقراطية والاشتراكية. القوميين الوطنيين اعتمدوا على بروسيا لتوحيد ألمانيا. بروسيا سيطرت على الحكومة الألمانية وقوتها العسكرية، عدد من الانتصارات العسكرية زادت من قوة التيار القومي تحت زعامة بروسيا. القانون الاشتراكي السابق تم إحياؤه من قبل بسمارك معبراً عن الولاء للملكية والوطنية بين العمال الألمان. بسمارك تفاخر وتبجح بأن الملوك يفعلون الثورات.

وبما أن بعض المؤسسات الاقتصادية الهامة في ألمانيا في القرن التاسع عشر تختلف بشكل جوهري عنها في بريطانيا فإنه ليس من الغريب أن تختلف الأيديولوجية الاقتصادية أيضا أو أن تظهر أيديولوجية اقتصادية مختلفة. فالتنظيمات التجارية استمرت في ألمانيا حتى قيام الإمبراطورية عام ١٨٧١ وذلك بعد وقت طويل من اختفاء هذه التنظيمات في بريطانيا. المنافسة وحرية المنشآت والتي يأخذها الكلاسيك على أنها مسلمة في تحليلهم الاقتصادي كانت مقيدة جداً في ألمانيا. بسبب البيروقراطية الكبيرة التي تنظم وتدير مختلف شئون الحياة الاقتصادية الألمانية، علم الإدارة العامة كان متطوراً جداً. النظريات " دعه يعمل" لم تكن صالحة لوضع ألمانيا، المدرسة التاريخية دافعت وبررت طريقة الألمان وهو طريق البحث التاريخي عن مدى صحة وملاءمة المبادئ الاقتصادية الكلاسيكية البريطانية.

ألمانيا التي أوجدت المدرسة التاريخية كانت مقسمة، زراعية بشكل رئيسي، التوجه القومي والوطنية والعسكرية والأبوية والإخلاص للواجب والعمل والتدخل الحكومي المكثف، كل هذه مجتمعه ساهمت في تغيير

وتحسين مسار النمو الصناعي. ولان ألمانيا في منتصف القرن التاسع عشر كانت متخلفة جداً عن بريطانيا في التطور الصناعي فإن اقتصادييها كانوا يبررون مساعدة الحكومة على أنها مطلوبة للحاق بالدول المتقدمة.

أهم مبادئ المدرسة التاريخية:

١ – النهج التطوري في دراسة الاقتصادي:

استخدمت منظوراً تطورياً ديناميكياً لدراسة المجتمعات. وركزت على التراكم التنموي. وتماشياً مع النظرية الدار ونية في علم الأحياء فإن النظام الاجتماعي يولد ويتطور وينموا وأخيراً يتضاءل ثم يموت. المجتمع دائم التغير. ولذلك فإن ما يلائم (من المبادئ الاقتصادية) بلداً في وقت معين قد لا يلائم بلداً آخر وقد لا يلائم نفس البلد في وقت آخر. هذا النهج النسبي كان مفيداً خاصة في الهجوم على الاقتصاد الكلاسيكي على أنه لا يلائم ألمانيا.

٢ – التأكيد على الدور الإيجابي للحكومة:

هذه المدرسة كانت قومية بينما الاقتصاد الكلاسيكي كان فردياً وعالمياً. وإذا كان النظام الاجتماعي هو مركز الدراسة وإذا كان هو القوة الديناميكية المحركة فإن المجتمع والدولة وليس الفرد – يجب أن يحتل الصدارة. في ألمانيا كانت الدولة هي التي ترعى الصناعة والنقل والنمو الاقتصادي. وفي عملية الدفاع عن وحدة الاقتصاد كان من السهل تطوير الحماس القومي وإعلاء شأن الدولة. هذه المدرسة أعطت أهمية عظيمة لضرورة التدخل الحكومي في الشئون الاقتصادية وأكدت على أن الجماعة لها مصالح خاصة تختلف عن مصالح الفرد.

٣ – المنهج الاستقرائي التاريخي:

اقتصادي هذه المدرسة ركزوا على أهمية دراسة الاقتصاد تاريخياً كجزء من كل. ولان الظواهر الاقتصادية والظواهر الاجتماعية الأخرى متشابكة فإن الاقتصاد السياسي لا يمكن دراسته إلا مع الفروع الأخرى للعلوم الاجتماعية. هذه المدرسة انتقدت التجريد، الاستنتاج، التحليل الساكن، الغير حقيقي، النوعية الغير تاريخية لمنهجية المدرسة الكلاسيكية والحرية. هذه المدرسة قدمت دراسات استقرائية مكثفة مستخدمة المواد والمصادر الأولية وكذلك دراسة المؤسسات الاجتماعية. هذه المدرسة تدعى أن الطريقة التاريخية مكنتها من دراسة جميع القوى حول الظاهرة الاقتصادية وجميع أوجه السلوك الاقتصادي وليس فقط منطقها الاقتصادي. بل أن بعض اقتصاديي هذه المدرسة يرفضون تقريباً أي شكل من أشكال التنظير (الاقتصادي). فقد أنكروا وجود أي قانون اقتصادي صحيح أو حقيقي والاستثناء الوحيد هو أنهم يعتقدون أن نماذج أو مسارات التطور مميزة تاريخياً عن بعضها وأن هذا يمكن تعميمه تحت " قانون التطور".

٤ – تأييد الإصلاح المحافظ:

رواد هذه المدرسة يقولون إن يجب أن لا يقتصر على تحليل دوافع الأنشطة الاقتصادية ولكن يجب أن تزن وتقارن الأهلية الأخلاقية لهذه التصرفات وتبعاتها. كما يجب أن تحدد معايير الإنتاج والتوزيع الملائم للثروة لكي يفي بمتطلبات العدل والأخلاق. هؤلاء الاقتصاديين (التاريخيين) نظروا إلى الدولة الألمانية على أنها يجب العناية بها عن طريق تحسين الظروف للناس بشكل عام. وهذا سوف يقوي الولاء للدولة. بينما الدولة تتكفل بالخدمات الصحية ومستوى عال من المعيشة وتحسين ظروف العمل. ولقد

كان أملهم في أن الإصلاح سوف يحول الناس عن الأيديولوجية الاشتراكية. إن مناصري (أنصار) التغيير الاجتماعي المعتدل يلقبون بـ (اشتراكي الكراسي) إشارة إلى مناصبهم الأكاديمية.

من استفاد أو كان المفروض أن يستفيد من فكرة هذه المدرسة:

- أعضاء المدرسة أفادوا أنفسهم بالقرب من مسئولي الحكومة وحافظوا على مناصبهم الأكاديمية، فالحكومة الألمانية تسيطر على معظم الجامعات (شمولر يعرف بأنه صانع البروفسورات) من خلال تعيينه الأكاديميين نظراً لما يحظى به من تقدير في وزارة الثقافة البروسية. بينما مناصري المدرسة النمساوية (الحدية) كانوا يستبعدون من هذه المناصب.
- هذه المدرسة نفعت الحكومة الإمبريالية الألمانية بتأييدها لدور الدولة القومية.
- هذه المدرسة خدمت جماعات الأعمال والمال وملاك الأراضي بتأييدها لإصلاح المعتدل الذي عطل مسيرة الاتجاه نحو الديمقراطية في المجتمع.
- الفقراء تحسنت أوضاعهم بدون معارك فقد جاءتهم التنازلات بسبب الحكومة الأبوية. والنتيجة إن الولاء للحكومة كان منتشراً أكثر منه في أي مكان آخر في أوروبا.

كيف كانت المدرسة الألمانية صالحة ونافعة وصحيحة في وقتها:

- المنهج التطوري للمجتمع والفكر الاقتصادي قدم مناعة أو علاجاً ممتازاً ضد الفكر التجريدي للكلاسيك والحديين. بدون (المدرسة التاريخية الألمانية) كيف يمكن للمرء أن يفسر الحماس البريطاني لمبدأ دعه يعمل ... في القرن التاسع عشر ثم هجرها له في القرن العشرين.

- هذه المدرسة صحيحة في منظورها أن الاقتصاديين يحتاجون إلى أن يتأقلموا مع حقيقة وأهمية التغير التاريخي وتغيرات البيئة المحيطة، مع التطور الاقتصادي والاجتماعي لكي يمكن فهم الواقع الحالي. دراسة استقراء الحقائق ضرورية. يجب إيجاد نظريات وأفكار جديدة لفهم الأوضاع المستجدة، وهذه النظريات والأفكار تستلزم اختباراً دقيقاً باستخدام البيانات وأجراء التجارب العملية عليها.

ما هي المساهمات التي دامت (مساهمات هذه المدرسة):

- مهمة هذه المدرسة قد تمت عندما أصبحت هناك قناعة لدى مختلف الاقتصاديين أن الدراسات التاريخية التجريبية ضرورية لتفسير الحاضر لامتحان النظريات ولتطوير نظريات جديدة. هذه الأيام منهج الاستقراء التاريخي أصبح مقبولاً ليكمل منهج الاستنتاج التجريدي. تغيير الأوقات والجدل المنهجي قد أجبر الاثنين على العمل معاً (المنهجيين). مثلاً : التحليل الكمي بجميع التنظير التجريدي مع الاختبار التجريبي. فالبيانات غالباً تاريخية.
- أهم مساهمات هذه المدرسة هو هجومها على دعه يعمل ... وقد أصبح هذا الهجوم توجه للمستقبل. رواد هذه المدرسة تبينوا أن المشروع الحر بدون أي ضوابط ليس بالضرورة يقود إلى أفضل النتائج للمجتمع ككل. وقد كانوا على حق في اعتقادهم إن الإصلاح قد يتحول إلى أضرار جسيمة بسبب إذكاء الفروقات الطبقية .

أخيراً قد يقول البعض أن إذكاء روح القومية والإفراط في ذلك قد يكون له مساهمة في نشوب الحرب العالمية الأولى والثانية. ولكن هناك تساؤلات كثيرة حول هذا الاستنتاج.

رواد هذه المدرسة:

- فريداك لست (١٧٨٩- ١٨٤٦)
- ويهلم روستشر (١٨١٧- ١٨٩٤)
- جوستاف شمولر (١٨٣٨- ١٩١٧)
- ماكس ويبر (١٨٧٤-١٩٢٠)